وزارة التعليم العالي
جامعة يحي فارس/المدية
كلية اللغات و الآداب
قسم اللغة العربية و آدابها

المستوى: ثالثة ليسانس
السداسي: السَّادس
تخصص: نقد ومناهج

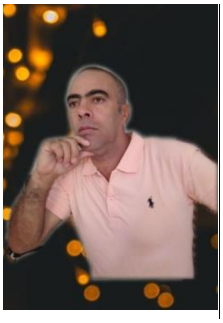
مقياس :

البنيويةُ التَّكوينيةُ



إعداد:
د/البشير ضيف الله

الموسم الجامعي: 2022/2021



نموذج الاتصال:

-مدرس المادة: **البشير ضيف الله**

أستاذ مساعد /جامعة يحي فارس /المدية

- المقياس: البنيوية التكوينية

المستوى: ثالثة ليسانس

تخصص: نقد ومناهج

- طريقة التقييم: التقييم المستمر 50٪ الامتحان 50٪ المواظبة

-الاتصالات:

للمراسلة:

bichrhamam@yahoo.fr

على الفيسبوك:

https://www.facebook.com/bichrhamam

على غوغل دريف:

https://drive.google.com/drive/my-drive

على الأرضية الرقمية للجامعة:

http://moodle.univ-medea.dz/course/view.php?id=4990

الهاتف:

0559671835/0799307650

المقرّر الدراسي الجامعي:

1-البنيوية التكوينية : المفهوم والتأصيل.

2-أسس البنيوية التكوينية:

أ/-مفهوما الفهم والتفسير
ب/-رؤية العالم
ج/-البنية الدالة
د/-مفهوم القيمة

3-مجالات دراسات البنيوية التكوينية

4-البنية التاريخية

5-البنية الإيديولوجية

6-البنية الداخلية للنص

7-البنيوية التكوينية في النّقد العربي:

أ/-التعريف بالنظرية
ب/-الترجمة

8-تطبيقات البنيوية التكوينية في النّقد العربي:

أ/-الشعر
ب/- النثر

المحاضرة الأولى:

مقدمة:

انفتح النّقد الأدبي المعاصر على مجموعة من المناهج لمقاربة النص الأدبي إظهارا لمضمره، وتحليلا لمستويات خطابه، وتقصّيا لمحمولاته وممكناته، فكان السياق وكان النَّسق ، ومهما كان الاختلاف بين هذه المناهج إلاّ أنها قدمت الإضافة اللاّزمة لكنها تبقى دائما بحاجة إلى التجدّد و الانفتاح.

و كما هو معلوم، فإن البنيوية كاتجاه فكري تحليلي يقوم على مبدأ المجموع المنتظم أو الكلية، اهتمت بمختلف المعارف وليس الأدب وحده، ولو أنها نحت هذا المنحى بعد منتصف القرن العشرين، وتعددت أنواعها وبنياتها على الشكل:

-البنيوية اللسانية:

مع "دوسوسور" و"مارتنيه" و"هلمسليف" و"جاكبسون" و"تروبوتسكوي" و"هاريس" و"هوكيت" و "بلومفيلد."

-البنيوية السردية Narratologie :

مع "رولان بارت" و"كلود بريمون" و"جيرار جنيت."

-البنيوية الأسلوبية stylistique :

مع "ريفاتير" و"ليو سبيتزر" و"ماروزو" و"بيير قيرو."

-البنيوية الشعرية:

مع "جان كوهن" و"مولينو" و"جوليا كريستيفا" و"لوتمان."

-البنيوية الدراماتورجية:

أو المسرحية Dramaturgie مع "هيلبو."

-البنيوية السينمائية:

مع "كريستيان ميتز."

-البنيوية السيميوطيقية:

مع "غريماس" و"فيليب هامون" و"جوزيف كورتيس."

-البنيوية النفسية:

مع "جان لاكان" و"شارل مورون."

-البنيوية الأنثروبولوجية:

الفرنسي "كلود ليفي شتراوس" والروسي "فلاديمير بروب".

-البنيوية الفلسفية:

السويسري "جان بياجيه" و الفرنسيون"ميشيل فوكو" و"جاك دريدا" و"لوي ألتوسير."

-البنيوية التكوينية/التوليدية (Genetie Structuralism) ...

وما يعنينا في هذا الشأن، البنيوية التكوينية التي تأسست على يد الناقد الفرنسي ذي الأصول الرومانية "لوسيان غولدمان "-1913-1970م- بغية استجلاء مكوناتها النظرية والتطبيقية، وتبيان مرتكزاتها المنهجية، واستكشاف مصطلحاتها النقدية، مع تبيان نجاعتها وقصورها في الوقت نفسه.

. البنيويــة التكوينيــة..المفهوم والتأصيل:

البنيوية التكوينية، أو التوليدية، (Genetie Structuralism) منهج متفرع عن الاتجاه البينوي ذي الأصول الفلسفية الماركسية تحديدا، في محاولة للتوفيق بين طروحات البنيوية، في صيغتها الشكلانية، وأسس الفكر الماركسي أو الجدلي-كما يسمى أحيانا- الذي يركّز على التفسير المادي الواقعي للفكر والثقافة عموما[1] ، ولعلّ مايعزّز هذا التأصيل ، هو انخراط أسماء فلسفية كبيرة في مقاربة هذا الاتجاه على غرار المجري" جورج لوكاش"،و السويسري " جان بياجيه" صاحب السبق في تحديد هذا المصطلح -ايْ البنيوية التكوينية- والفرنسيين "بيير بورديو" و "لوسيان غولدمان" .. غير أن المفكر الأكثر إسهاما من غيره في تلك الصياغة هو الفرنسي الروماني الأصل "لوسيان غولدمان". وكانت طروحات غولدمان نابعة وبشكل أكثر وضوحا من طروحات المفكر والناقد المجري "جورج لوكاش" الذي طور النظرية النقدية الماركسية باتجاهات سمحت لتيار كالبنيوية التكوينية بالظهور وعلى النحو الذي ظهرت به، في الوقت الذي أفاد فيه أيضا من دراسات عالم النفس السويسري "جان بياجيه" ، يقول "صلاح فضل" :

"هناك مدرسة بنائية تطلق على نفسها التوليدية، وأكبر ممثليها ، هما العالم النفسي جون بياجيه، والناقد الكبير لوسيان غولدمان، يقدم الأول تصورا نظريا متكاملا عن البنية، بينما يتولى الآخر تطبيق هذا التصور في مجال الدراسات الاجتماعية للأدب"[2] وقد أشار "غولدمان" إلى تأثير "بياجيه" تحديدا في استعماله لمصطلح (البنيوية التكوينية): " لقد عرفنا أيضا العلوم

---

[1] **بنيوية توليدية : https://ar.wikipedia.org/**

[2] **صلاح فضل، البنيوية و النقد الأدبي، نظرية البنائية في النّقد الأدبي،دار الشروق،ط1،القاهرة، 1998م،ص:128**

الإنسانية الوضعية، وبتحديد أكثر المنهج الماركسي بتعبير مماثل تقريبا استعرناه، علاوة على ذلك، من جان بياجيه، هو البنيوية التكوينية.."[3]

.السوسيولوجيا الجدلية للأدب أو "البنيوية التكوينية" هي مقاربة سوسيولوجية وظيفية، تهدف إلى دراسة الظواهر الأدبية والفنية والثقافية فهما وتفسيرا، بغية رصد رؤى العالم، من خلال عقد تماثل ضمني بين الأدب والمجتمع.

وإذا كانت البنيوية اللسانية تدرس النص باعتباره نسقا بنيويا داخليا مغلقا، فإن البنيوية التكوينية (Structuralisme Génétique)، مع منظرها "لوسيان غولدمان" (Lucien Goldmann)، تدرس النص على أنه بنية وظيفية منفتحة على الخارج الإحالي والمرجع النصي الواقعي. وهنا، تلتقي هذه البنيوية مع الواقعية الجدلية (Dialectique/Dialectic) في استقراء الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية والثقافية، والاستفادة من آراء "كارل ماركس، وهيجل، وبليخانوف، وأنجلز، وماكس فيبر، ولوي ألتوسير"،...إلا أنها تختلف عنها في مفهوم الانعكاس الواقعي. فإذا كانت الواقعية الجدلية ترى أن الأدب مرآة تعكس الواقع بطريقة مباشرة، فإن البنيوية التكوينية ترى أن الأدب بنية جمالية وفنية مستقلة بنفسها.

[3] بنيوية توليدية : https://ar.wikipedia.org/

المحاضرة الثانية:

أسس البنيوية التكوينية:

تقوم على مفاهيم أساسية هي:

1. الفهم والتفسير:

إذا كانت البنيوية اللسانية مع "فرديناند دو سوسير، وكلود ليفي شتروس، ورومان جاكبسون، ورولان بارت، وكلود بريمون.." وغيرهم .. تعتمد على التفكيك (Déconstruction) والتركيب (Construction) في تشريح النص اللساني الداخلي، فإن البنيوية التكوينية، على الصعيد النظري والمنهجي، تتبنى على خطوتين إجرائيتين أساسيتين هما: الفهم (Compréhension) و التفسير (Explication).

إن مفهوميْ الفهم والتفسير يعتبران من أهم الخطوات المنهجية التي حددها "لوسيان غولدمان" في بنيويته التكوينية؛ ذلك لأنهما يقومان بدور كبير في دراسة العمل الأدبي في جانبيه الجمالي الشكلي (الفهم) والاجتماعي المضموني (التفسير).

أ/- مفهوم الفهم:

يرتبط هذا المفهوم أساسا بدراسة العمل الأدبي في ذاته ووصف عناصره وبنياته وكذا العلاقات الأساسية التي تتشكل البنية من صيرورتها، فلوسيان غولدمان ينص في مرحلة الفهم على فصل العمل الأدبي عن علة الوجود أي عن المعطيات الاجتماعية والتاريخية والسياسية والإيديولوجية، لكن هذا الفصل متعلق بمرحلة الفهم فقط، وعليه فإن الناقد في هذه المرحلة موجه نحو الاهتمام بالنص ولا شيء سواه والبحث عن كل ما يساعد في إنتاج المعنى العام لهذا النص، وهذا لا يتحقق إلا باستخلاص بنيته وذلك من خلال تتبع كل جزء من أجزاء البنية ثم دراسة العلاقات التي تربط بين الجزء والكل وهذا لا يتم إلا بمقاربة داخلية ومحايثة للنص أي من خلال التفتيش في نسقه البنيوي، وبهذه الخطوات يتمكن الناقد من استنباط المعنى العام للنص ومعرفة مدى التحام أجزاء النص بعضها ببعض وإدراك دور هذا الالتحام في تشكيل البنية الدالة للعمل الأدبي، فتحليل أي عمل أدبي يجب أن يتجه في المقام الأول إلى بنية العمل الداخلية وفهمها، لأن الغاية من مرحلة الفهم -حسب غولدمان- هي إبراز البنية الدالة للعمل الأدبي، وعليه فإن أهم مبدأ يقوم عليه مفهوم الفهم هو مبدأ "المحايثة"، فمن خلال هذا المبدأ استطاع "لوسيان

غولدمان" أن يتجاوز "السوسيولوجيا المبتذلة" كما يسميها والتي تعتمد في دراستها للأعمال الأدبية على المعطيات الخارجية التي أدت إلى إنتاج هذه الأعمال دون الالتفات إلى خصوصيتها باعتبارها قائمة أساسا على تشابك وترابط وانسجام مجموعة من الأجزاء والعناصر بعضها ببعض وهذا ما يمنحها قيمة فنية وخصوصية ذاتية.

إن الدراسة الداخلية أو المحايثة تختلف بين "المنهج البنيوي اللغوي" وبين "البنيوية التكوينية"، فالمنهج البنيوي التكويني يكتفي بالإشارة إلى ضرورة الاهتمام بالنسق الكلي للنص دون أن يمتلك وسائل إجرائية لدراسة هذا النسق، ولوسيان غولدمان نفسه في دراسته لبعض النماذج الروائية "لأندريه مالرو" في كتابه (من أجل سوسيولوجية الرواية) وظف في مرحلة الفهم المبادئ المنطقية العامة للتفكير، مثل: (المقارنة، الانسجام، التناقض.....) وعليه فإن الناقد البنيوي التكويني في فهمه للنص الأدبي يلجأ كثيرا إلى ذوقه وحدسه بخلاف ما نجد في البنيوية اللغوية إذ إن النقاد الذين ينتمون إلى هذا المنهج يوظفون قواعد محددة في دراستهم لبنية النص الأدبي، لذلك فإن الدراسة التي يدعو إليها "غولدمان" في مرحلة الفهم هي دراسة " حدسية " وليست دراسة "علمية " مثلما نجد في البنيوية اللغوية، ومهمة الناقد في مرحلة الفهم هو البحث عن الطرائق والسبل التي توصله إلى استخراج بنية النص وذلك من خلال تتبع كل عنصر من عناصر النص ومحاولة جمع أكبر قدر من المقولات المتواترة في النص من أجل الوصول إلى البنية العامة، وبما أن الهدف من مرحلة الفهم هو إبراز البنية الدالة فإن الناقد لا يجب أن يعطي أهمية خاصة للنوايا الشعورية للمؤلف، بمعنى أنه لا ينبغي أن يهتم بالعوامل الخارجة عن النص بل يجب عليه أن يدرس البنيات الداخلية للنص وأن يتحرى درجة الانسجام والتوافق أو الوحدة النوعية فيها، أي إعطاء الأولوية في مرحلة الفهم للعناصر التي تميز الفعل الأدبي كالخصائص التعبيرية واللغة وكذا الأسلوب البنائي وكل ما له علاقة بالبناء الداخلي للنص الذي أُهمل من قِبل السوسيولوجيا التقليدية، لذا يمكن القول بأن الفهم درس أدبي؛ لأنه ملازم للعمل الأدبي ومتعلق به ولأن وظيفته الكشف عن مميزات النص الداخلية التي تجعله مستقل بشكل نسبي عن العالم الخارجي، فالدراسة البنيوية التكوينية لا تقف عند مرحلة الفهم فقط بل إن هذه العملية تعد خطوة أولى لمرحلة لاحقة وهي مرحلة التفسير، بمعنى أن الفهم ليس إجراء مستقلا بذاته وإنما هو منفتح بطريقة جدلية على خطوة ثانية يحتاج إليها الفهم وهو التفسير.

ب/- مفهوم التفسير:

إن الهدف الأساسي من هذا المفهوم هو إبراز ما للمجتمع من دور في صياغة المجال الأدبي أي أن دوره متعلق بالعوامل الخارجية التي أدت إلى إنتاج العمل الأدبي، فالناقد في مرحلة التفسير وبعد أن استخلص البنية الدالة للنص من خلال مرحلة الفهم يجب عليه أن يُدرج هذه البنية ضمن بنيات أوسع وأشمل تتضمن البنية الأدبية وهي البنى الاجتماعية بمعنى يجب أن ينظر إلى البنية الأدبية باعتبارها وظيفة لبنية اجتماعية أوسع منها، والتفسير يُمكن الناقد البنيوي التكويني من الوصول إلى الدلالة الموضوعية للبنية الأدبية من خلال ربطها بالعوامل الخارجية التي أنتجتها، لكن هذا لا يعني السقوط في الانعكاس الآلي، كما هو الشأن في المنهج الاجتماعي في شكله "الماركسي"، لأن العلاقة بين البنية الأدبية والبنية الاجتماعية -بحسب غولدمان - ليست مادية ملموسة بل " تمر عبر البنيات الذهنية " وهذا هو جوهر الاختلاف بين البنيوية التكوينية والاتجاهات الاجتماعية السابقة.

إنّ "غولدمان" يدرس أولا البنى الأدبية ثم بعد ذلك يمر إلى مرحلة التفسير من أجل الإجابة عن سؤال ما هي الأسباب التي أنتجت البنى الأدبية؟

إن التفسير هو محاولة لإلقاء الضوء على البنية الأدبية من خلال مقارنتها مع إحدى بنيات رؤى العالم الموجودة لدى الطبقات القائمة في المجتمع وذلك بهدف إثبات مظاهر التماثل والانسجام بين البنيتين الأدبية والاجتماعية، وما ينتج عن هذه المقارنة بين البنيتين أن الصلة بين الإبداع والمجتمع ليست مباشرة ولكنها تمر عبر البنى الذهنية، ومن خلال مرحلة التفسير تكتمل معالم الدراسة البنيوية التكوينية؛ لأنه يُمَكِّن الناقد من إدراك التناظر والتماثل بين البنية الأدبية والبنية الاجتماعية وكذلك معرفة كيف يتم توليد البنية الأدبية عن طريق البنية الأعم وهي البنية الاجتماعية، وبما أن "غولدمان" يرى بأن التفسير مرتبط بما هو خارج عن النص، فإن وظيفته الأساسية هو البحث عن الفاعل فردا كان أو جماعة ، وهذا يحيلنا على أن الناقد لا يجب أن ينطلق في تفسيره للنصوص الأدبية من نوايا الفرد بل يجب أن يأخذ بعين الاعتبار الجماعات الاجتماعية باعتبارها هي المبدع الحقيقي للنص، وعليه فإن تفسير البنية الدالة لا يكون إلا اجتماعيا في نظر "لوسيان غولدمان" ؛ فالعمل الأدبي هو أولا وقبل كل شيء نوع من الإشباع الفكري والفني لتطلعات الطبقات الاجتماعية لذلك فإن الناقد في شرحه للعمل الأدبي يجب أن يلجأ إلى هذه الجماعات، وعليه فإن التفسير . بوصفه خطوة أساسية في تحليل النص من الخارج . هو الذي يؤكد انتماء منهج "لوسيان غولدمان" إلى "سوسيولوجيا الأدب". ومن هنا يتبين مدى ارتباط مفهوم الفهم بمفهوم التفسير إذ لا يمكن الفصل بينهما؛ لأن " **التعريف بالموضوع المراد**

تفسيره يتعلق بالفهم كعمل أولي، ومن جهة أخرى يصبح الفهم شبه مستحيل دون وجود عدد معين من المعطيات السوسيولوجية "، وقد عبر "لوسيان غولدمان" عن وحدة المفهومين والعلاقة التكاملية التي تربطهما حين قال: " **إن التفسير والفهم ليسا عمليتين ثقافيتين مختلفتين بل عملية واحدة ترد إلى إطارين مرجعيين** "، غير أن ما يجب الإشارة إليه هنا أن كيفية توظيفهما في دراسة العمل الأدبي تختلف، فالفهم هو دائما محايث للنص يتعلق بدراسة البنى الداخلية للعمل الأدبي، في حين أن التفسير يهتم بدراسة العوامل الخارجية التي أنتجت النص أي أنه دائما خارج عن العمل الأدبي.

2.مفهوم البنية الدالة:

يعتبر مفهوم البنية الدينامية الدالة من أهم المفاهيم التي تشكل الأساس النظري لأطروحات "لوسيان غولدمان" في البنيوية التكوينية، ويتأسس هذا المفهوم على فكرة محورية مفادها أنّ الأعمال الأدبية تحتوي على أبنية دلالية كلية، إذ نجد دائما في أي عمل أدبي فكرة عامة تتواتر باستمرار كلما انتقلنا من فقرة إلى أخرى، وهذه البنية تختلف من عمل إلى آخر، وتعتبر الكلية من الخصائص المميزة لأبنية الأعمال الأدبية، لذا فإن الظاهرة الأدبية – من منظور البنيوية التكوينية – يجب أن تُدرس في شموليتها، إذ لكل عنصر في بنية النص الأدبي وظيفته المنوطة به، لذا فإن إهمال أي عنصر من هذه العناصر يؤدي إلى كسر وحدة النص الأدبي، وهذا يوحي لنا ضمنيا أن مفهوم البنية الدالة– كما نظر إليه غولدمان– يسعى إلى خلق وحدة داخلية بين مكونات النص، وعليه فإننا لسنا بإزاء بنية شكلية اعتباطية، بل نحن أمام بنية تحمل دلالة معينة، وعليه فإن البنية تابعة لموقف الذات (الأديب) فإذا استقر هذا الموقف استقرت معه البنية، وكلما تغير فإن البنية تتحول وتتغير، وربْطُ "غولدمان" البنية بالذات يقتضي انفتاح بنية النص الأدبي على بنية أعم وأشمل وهي البنية الاجتماعية، لأن الذات الفاعلة هي جزء من المجتمع، وعليه فإن البنية الأدبية – مع لوسيان غولدمان – أضحى لها وظيفتين:

الأولى: مرتبطة بالنص الأدبي وتتمثل في الانسجام الذي تحدثه بين مكونات النص.

الثانية: لها علاقة بما هو خارج عن النص، أي بالبنية الاجتماعية.

3. مفهوم رؤية العالم:

يعتبر هذا المفهوم جوهر نظرية "لوسيان غولدمان"، ومن خلاله تم تجاوز العلاقة المباشرة الآلية بين الأدب والواقع، وأُنتجت رؤية جديدة حول طبيعة هذه العلاقة، تتجلى أساسا في عقد تماثل

بين البُنى الأدبية والبُنى الاجتماعية، يقول "غولدمان" في هذا الشأن: "**إن الرؤية للعالم هي بالتحديد، هذه المجموعة من التطلعات والإحساسات والأفكار التي توحد أعضاء مجموعة اجتماعية، وفي الغالب أعضاء طبقة اجتماعية، وتجعلهم في تعارض مع المجموعات الأخرى إنها بلا شك خطاطة تعميمية للمؤرخ، ولكنها تعميمية لتيار حقيقي لدى أعضاء مجموعة يحققون جميعا هذا الوعي بطريقة واعية ومنسجمة إلى حد ما** " .

إنها ذلك التصور الذهني الذي يصور به المبدع إبداعه، فهي تسبق عملية تحقق الإبداع، وهي كذلك الفلسفة والطريقة التي يحس ويرى بها الأديب إلى القضايا المحيطة به، ومن أهم الشروط التي يجب أن تتوفر في هذه الرؤية الانسجام والتناغم مع رؤى وتطلعات الجماعات الاجتماعية، إذ يجب على المبدع – في تأمله للواقع الاجتماعي – أن لا ينطلق من ذاته فقط، بل عليه أن يحاول إقحام قدر مهم من أفكار وآمال مختلف أفراد المجتمع، وذلك باعتبار الأديب لسانا ناطقا باسم الجماعة وبكل ما يحيط بهذه الجماعة من مشاكل وآمال أيضا، إلا أن هذا الانسجام الذي يفرضه مفهوم الرؤية إلى العالم على علاقة الفرد بالجماعة ليس انسجاما أو تلاحما ميتافيزيقيا مجردا، وإنما هو عبارة عن نسق فكري وذهني يحاول أن يعالج بعض القضايا الموجودة في الواقع، وبما أن هذا التصور يرتبط بالجانب الاجتماعي، فإن درجة التجريد فيه تتقلص، فلو كانت هذه الرؤية مستقلة عن الواقع ومرتبطة بالتصورات الذهنية فقط لقلنا عنها بأنها تصور مجرد ومعقول، لكن ما دام أنها حريصة الارتباط بالعوامل الاجتماعية والتاريخية فإنها تتطرق أيضا إلى الأحداث الملموسة المادية، لذلك يمكن القول بأن هذا التناسق الذي يقترحه "غولدمان" هو تناسق مجرد وملموس في آن واحد، مجرد بالنظر إلى الرؤية الذهنية التي ينظر بها الفرد إلى الجماعة، وملموس بربط نظرة الفرد بالجماعات الاجتماعية تجريبيا، أي عمليا وواقعيا، والهدف من هذا الربط تحقيق التوازن بين البنية الذهنية للمبدع والبنيات الذهنية للجماعات الاجتماعية، ويظهر هذا في قول غولدمان: " **كل توازن بين البنيات الذهنية للفاعل من جهة والعالم من جهة أخرى، يوصل إلى وضعية يمكن فيها للسلوك البشري أن يغير العالم، فيجعل هذا التوازن القديم ناقصا، ويدفع بالتالي إلى إيجاد توازن جديد** "، ويتضح من خلال هذا القول أن " تغيير العالم " يستدعي التوافق بين قضايا الأديب وبين قضايا مختلِف فئات المجتمع، نظرا لانتماء الأديب إلى نفس المجتمع، وعليه فإن مبدع الرؤية إلى العالم يتخذ طابعا جماعيا.

أهم مكونات رؤية العالم:

ومن أهم مكونات الرؤية إلى العالم هما "**الوعي الكائن/الواقع**" و"**الوعي الممكن**"، فما يجمع بين الطبقات الاجتماعية هو إحساسهم بالظرفية الاجتماعية المزرية التي يمرون بها في الحاضر

وسعيهم إلى إيجاد حلول لهذه المشاكل في المستقبل ، ويمكن القول بأن "الوعي الكائن" هو وعي تجريبي وواقعي يهتم بما هو ملموس ومادي، وهو ليس وعيا ثابتا وإنما متحرك وديناميي يتولد عنه وعي ممكن، وهو وعي ذهني افتراضي لأنه مرتبط بزمن لم يصل بعد وهو المستقبل؛ وعليه فإن هذا الوعي يبقى مجرد أمل قد يتحقق وقد لا يتحقق، إلا أن حضوره في الرؤية للعالم يعتبر أمرا ضروريا فهو جوهر هذه الرؤية، وهو الذي يبرز الغاية منها وهو تجاوز التوازن القديم وإيجاد توازن جديد. وعليه، فإنّ "الوعي الممكن" لا يصله الفرد إلاّ عندما يستطيع التأمّل بفضل ثقافته، وخبرته في المعطيات الفكريّة لجماعته، من أجل أن يبني بواسطتها مستوى متبلورًا لمصالح الجماعة وأهدافها.

إنّ النتاج الأدبيّ ومنه الرواية ليس انعكاسًا بسيطًا للوعي الجمعيّ، ولكنّه تعبير راقٍ عن هذا الوعي، بمعنى أنّه لا يرتبط بأفكار عامّة الناس، وإنّما يرتبط بالإيديولوجيا والفكر النظريّ اللذين يصوغهما الأعضاء النابهون للجماعة. من هنا تبرز أهمّيّة الوعي الممكن، إذ بواسطته يمكن تحديد الرؤية بشكل جيّد وخصوصًا في الأعمال الكبرى.

إذن ف"رؤية العالم" لا يمكنها في رأي "غولدمان" أن تتكون إلا في إطار الجماعة، فعلى الرغم من انتسابها إلى الكتاب، فإنها ليست من إبداعهم الخاص .فهي في الرواية ترتبط بنظرة الكاتب العامة إلى الواقع الموضوعي ،وكل رواية لابد أن تحمل تصورا معينا عن هذا الواقع. وهذه الرؤية تختلف مستوياتها وتتفاوت من رواية إلى أخرى، وذلك تماشيا مع طبيعة هذه الرؤية، فقد تكون شمولية وقد تكون دون ذلك.والرواية يمكن أن تفقد انسجام الرؤية إلى العالم لتسقط فيما يسمى بالوعي الواقع، وذلك حين تتقلص الرؤية الشمولية.

من هنا يمكن القول أن رؤية العالم تتجاوز ما هو واقع إلى ما هو مستقبلي، وما دامت الأعمال الروائية الكبرى تتميز بشمولية الرؤية ،فإنها هي وحدها التي تمتلك "رؤية العالم". هذه الرؤية التي تعتبر في الواقع تعبيرا كليا وشموليا عن قيم وطموحات ومشاعر الجماعة التي تؤمن بها.

4. القيمة والنتاج والتماثل:

أ/-القيمة:

تتجلى في مدى تعبير الأدب عن رؤية مضبوطة للعالم، وهذه القيمة تكتسي طابعاً فلسفياً خارجيا يشكل الواقع الذي تحيل عليه دلالات مضمونية عميقة للنص. فالقيم الفكرية لا تنفصل عن واقعها الإجتماعي والإقتصادي الذي أنتجها.

إن القيم الحقيقية في مفهوم "غولدمان"، ليست هي القيم التي يعتبرها الناقد أو القارئ كذلك، بل هي القيم التي تنظم ضمنياً مجموع عالم النتاج. ومن البديهي في هذا المنظور أن لكل نتاج في حد ذاته قيمه الخاصة. فحين يتعلق الأمر بالفن، فإن وجود القيم ليس وجوداً مفهومياً ومجرداً، وجوداً يأخذ في وعي المبدع صورة أخلاقية، والتي عبر عنها "لوكاتش" قائلاً بأن " **أخلاقية الروائي تصبح مشكلة جمالية للنتاج**". أي أن الأمر لا يتعلق هنا بقيمة النتاج بل بالقيم التي يستدمجها، لذلك من غير الكافي أن تكون القيم الأخلاقية المعنية قيماً أساسية حتى يكون العمل الفني ناجحاً من وجهة نظر علم الجمال.

ب/–النتاج:

هو حالة وجدانية وفكرية تأخذ سماتها من العلاقة بين الذات والموضوع، الفرد والمجتمع وذلك عبر بنية عميقة تشكل أساساً يحيل على بنية ذهنية في الواقع.

ج/–التماثل:

وهو من منظور زيما العلاقة البنيوية بين الكليات الدلالية. والمقصود هو وضع ربط لكلية الأفكار والمواقف لجماعة معينة ورؤية العالم الجماعية بشبه كلية النص التي تحكمها حسب رأي غولدمان، البنية الدلالية.

المحاضرة الثالثة:

خطوات المقاربة النقدية البنيوية التكوينية :

يقسم الباحث أو الدارس عمله النقدي، في إطار البنيوية التكوينية، إلى مبحثين أساسيين هما:

مبحث الفهم، ومبحث التفسير. ففي مرحلة الفهم، يرصد الدلالات الاجتماعية التي توجد في النص، من خلال التعامل مع العمل في بنيته الداخلية المغلقة، دون تأويله مرجعيا، أو إضافة أي شيء غير موجود في النص. ولن يتم ذلك إلا بعد تقطيع العمل إلى متواليات وفقرات نصية دالة. وبعد ذلك، يستخلص البنية الدالة الثابتة، وهي مقولة ذهنية أو فلسفية، أو أطروحة مترددة داخل العمل أو النص، أو فكرة كلية عامة تفرض نفسها على المتلقي. وبعد استجلاء هذه البنية الدالة، يدرجها في حقل أكثر اتساعا من الفهم.أيْ: تضاء هذه البنية الدالة بالمعطيات الجدلية السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والتاريخية، والثقافية، مع استبعاد البواعث النفسية كما قلنا سابقا.

ثمّ ينتقل الدارس إلى تبيان رؤية العالم لدى المبدع، وهي أهم عنصر في العملية التحليلية النقدية. ويعني هذا أن البنيوية التكوينية تبحثعن رؤي العالم أو الرؤى الإيديولوجية. لذلك، تبدأ بمرحلة الفهم من خلال تحليل النص داخليا من أجل الوصول إلى البنية الدالة المتواترة والأكثر ترددا في العمل أو النص. وبعد ذلك، تفسر تلك البنية في مجالها الواسع، في إطار الأبعاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتاريخية. وبالتالي، تحدد الرؤية إلى العالم، سواء أكانت رؤية إسلامية، أم رؤية وجودية، أم رؤية عبثية، أم رؤية ثورية، أم رؤية مأساوية، أم رؤية ليبرالية، أم رؤية رومانسية، أم رؤية واقعية، أم رؤية رجعية...

المحاضرة الرابعة:

مجالات تطبيق البنيوية التكوينية :

يمكن الإشارة إلى أن "لوسيان غولدمان" قد طبق البنيوية التكوينية على الرواية كما في كتابه (من أجل سوسيولوجية الرواية) ، وعلى المسرح كما في كتابه (الإله المختفي) الذي تناول فيه بالخصوص مسرح "راسين"..في غياب تطبيقاتها على الشعر.

لكن ثمة مجموعة من الدارسين العرب الذين طبقوا هذا المنهج على هذا الجنس الصعب، مثل: طاهر لبيب في كتابه(سوسيولوجيا الغزل العربي) ، ومحمد بنيس في كتابه (ظاهرة الشعر المعاصر بالمغرب) ، وبن عيسى بوحمالة في كتابه (النزعة الزنجية في الشعر المعاصر) ، وعبد الله راجع في كتابه (القصيدة المغربية المعاصرة: بنية الشهادة والاستشهاد)...

مآخذ البنيوية التكوينية:

لا شك أن هذا المنهج قد قدم تفسيرات مهمة في الدراسات الاجتماعية للأدب لكنه على أهمية مشروعه لم يسلم من الثغرات تماماً كباقي المناهج النقدية، وما زال ينتظر بعض التعديلات الحاسمة حتى يتأسس كمنهج ناجع يقلل من دور الحدس ولم لا أن يوظف مسارات نظرية أخرى

حتى يملأ فجواته ويسهل للدارس تنظيم آرائه وتحليلاته في تلمس البنيات المتعددة.

-إلغاء الشّعر من حساباتها بوصفه جنسا أدبيا ومحمولا خطابيا عالميا، فقد صبّت كل اهتماماتها على الرواية -كما سبقت الإشارة إليه-

-اعتمادها لغة الأرقام والأشكال الرياضياتية في تغييب كامل لروح النصوص، ومن ثمّة فإنّ تعاملها مع المتون الأدبية تعاملٌ مادّي بحت.

-تغييب المعنى والتركيز على الشكل رغم أنها حاولت اللعب على وتر "رؤية العالم" التي ترتبط بشكل أو بآخر بالمحمول الاجتماعي/الجمعي

- تماديها في الحدس وقصور مفاهيمه في مستوى الفهم.

المحاضرة الخامسة:

البنيوية التكوينية في النّقد العربي:

النثر:

يلاحظ أن نقاد المغرب العربي كانوا أكثر تمثلا للمنهج البنيوي التكويني نظرية وتصورا وتطبيقا منذ سبعينيات القرن الماضي؛ نظرا لقربهم من الثقافة الفرانكفونية، على عكس النقاد المشارقة الذين ظلوا حبيسي مجموعة من المناهج النقدية الكلاسيكية السياقية بالخصوص، باستثناء بعض النقاد الذين حاولوا ركوب موجة النّقد الجديد على غرار " كمال أبوديب، عبد الله الغذامي، جابر عصفور، جمال شحيذ، سيزا قاسم، نبيلة إبراهيم، موريس أبو ناضر، اعتدال عثمان، خالدة سعيد، وصلاح فضل، وفؤاد أبو منصور، محمد عزام، عواد علي، عبد الله إبراهيم، عبد الكريم حسن، يمنى العيد، محمد مفتاح،جمال الدين بن الشيخ، عبد الفتاح كليطو.." و"صلاح فضل"، وغيرهم...

ثمة دراسات عربية عدة تمثلت هذا المنهج النقدي في الرواية والنقد والقصة القصيرة والمسرح ونذكر من هؤلاء"السيد يس" في كتابه(التحليل الاجتماعي للأدب) ، و"صلاح فضل" من خلال كتابه (البنيوية و النقد الأدبي، نظرية البنائية في النّقد الأدبي)، وعبد الكبير الخطيبي في (الرواية المغربية) ، وسعيد علوش في (الرواية والإيديولوجيا في المغرب العربي) ، وحميد لحمداني في (الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي) ، ونجيب العوفي في (مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية) ، وجمال شحيذ في كتابه (البنيوية التركيبية) ، وصالح سليمان عبد العظيم في كتابه (سوسيولوجيا الرواية السياسية) ، وعبد الرحمن بوعلي في (في نقد المناهج المعاصرة: البنيوية التكوينية) و(الرواية العربية الجديدة) ، وإدريس بلمليح في (الرؤية البيانية عند الجاحظ) ، ومحمد برادة في (محمد مندور وتنظير النقد العربي) و (البنيوية التكوينية و النقد الأدبي)، و"رفيف رضوى الصيداوي" في (النظرة الروائية إلى الحرب اللبنانية) ، وإبراهيم عبد الله غلوم في كتابه (المسرح والتغيير الاجتماعي في الخليج العربي، دراسة في سوسيولوجيا التجربة المسرحية في الكويت والبحرين) ...

أما في الجزائر ، فلا يمكن تجاهل جهود شيخ النقاد الجزائريين "عبد المالك مرتاض" الذي قدّم نماذج راقية في هذا الشأن، كما نقف على ماقدمه "عمر عيلان" في كتابه (الإيديولوجيا و بنية الخطاب الروائي) الذي قدّم فيه مقاربات لنصوص "عبد الحميد بن هدوقة"، إضافة إلى ما قدمه " عمار بلحسن" في كتابه (الأدب والإيديولوجيا) حيث حاول التأسيس لنقد سوسيو- بنائي

جزائري من منظور فلسفي / فكري معتمدا تخريجات فلاسفة هذا المنهج بالأساس إضافة إلى جهود "صالح ولعة" الذي حاول هو الآخر أن يعطي دفعا نقديا صحيحا لتمثل مقولات هذا النقد على النص الأدبي من خلال دراسات عديدة مثل (البناء و الدلالة في رواية حين تركنا الجسر لعبد الرحمان منيف)، و (عبد الرحمان منيف،الرؤية والأداة).

ولاننسى جهود الناقد الجزائري "محمد الأمين بحري" وكتابه المهم (البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية) وجهد "محمد ساري" في كتابه (البحث عن النقد الأدبي الجديد)، و "نور الدين صدار" من خلال كتابه(البنيوية التكوينية مقاربة نقدية في التنظير والإنجاز)...

المحاضرة السادسة:

البنيوية التكوينية في النّقد العربي:

الشّعر:

يحتفي النّقد البنيوي التكويني العربي بالشعر بخلاف البنيوية التكوينية الغولدمانية التي ركّزت جهودها على السرد، وقد يعود ذلك إلى طبيعة العلاقة التي تربط الشعور الجمعي العربي بالشعر كونه قطعة أساسية لايمكن الاستغناء عنها ، فالعرب ولدوا جميعا شعراء –بتعبير نولدكه– لذلك لم يكن مفاجئا هذا الانحياز المنهجي لصالح الشعر،وهو ما أعتبره إضاءة نقدية مهمة في هذا الشأن.

تأتي في مقدمة هذه الجهود كتاب (ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب،مقاربة بنيوية تكوينية)، وكتاب (حركية الإبداع) للناقدة "خالدة أحمد سعيد"، و"كمال أبو ديب" في كتابيه (جدلية الخفاء و التجلي) و (الرؤى المقنعة)، و (البنيات الدالة على الحياة والموت في شعر فايز خضور) للناقد "ماجد سليمان رزق" و (القصيدة المغربية المعاصرة: بنية الشهادة والاستشهاد) للمغربي "عبدالله راجع" ، و (رؤية العالم في شعر الصعاليك) للناقد "صغير بن غريب عبد الله العنزي"، و(رؤية العالم في شعر أمل دنقل) للدكتور"عبد النصر هلال"، و كتاب (الشعر الموريتاني الحديث) للناقدة الموريتانية "بات بنت البراء".

وفي الجزائر، نجد عددا من الدراسات، على غرار (البيئة في الشعر الجزائري المعاصر،مقاربة تكوينية إيكولوجية) للباحثة "مكسح دليلة"، و (مقاربات في الشعر الجزائري المعاصر) للباحث "عبد القادر لباشي"، و(شعر أبي مدين التلمساني ،الرويا و التشكيل) للباحث "مختار حبار"..

خلاصة:

من كلّ ماسبق، يتضح أنّ البنيوية التكوينية منهج نقدي حاول سد فجوات البنيوية الشكلانية بمراعاة البعد الاجتماعي، غير أنّه وقع في مطبات عديدة كإشكالية المصطلح، وتغييب الشعر من مجال دراساته، فهذا المنهج المهجن –بتعبير مرتاض– " **غير دقيق المعالم، وأحسبه غير قادر على استيعاب كل جماليات النص، وبناه؛ حيث أنه إذا جنح للبنوية تتنازعه الاجتماعية، وإذا انزلق إلى الاجتماعية تنازعته البنوية، فيضيع بينهما ضياعا بعيدا...**"

